المحاضرة الثانية: أشراط الساعة الصغرى

إن الحديث عن اليوم الآخر يستدعى الكلام على أمور تجري قبل هذا اليوم، وهي أمرات صغرى وكبرى تجري قبل هذا اليوم؛ نذكر أهمها بإيجاز:

تمهيد:

بين القرآن جملة من الأمور المتعلقة باليوم الآخر:

1- قرب الساعة: بين القرآن أن اليوم الآخر قريب الحدوث؛ من ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى، فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه:15-16]؛ وقوله تعالى:﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر:01-02].

2- توقيت الساعة: بين القرآن أن توقيت الساعة من أمور الغيب التي أخفاها الله عن عباده لحكمة يعلمها، ولا سبيل إلى معرفتها أبدا، قال تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:187]. وقوله تعالى:﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:63].

وفي إخفاء الساعة حكم كثيرة أهمها الاستعداد الدائم، وقصر الأمل، وعدم التعلق بالدنيا وزخرفها، وتمام الامتحان والاختبار البشري للإنسان بصورة كاملة.

والاشتغال بالبحث عن وقتها وتحديد ساعتها مما لا طائل منه، وما يخالف الهدي النبوي إلى توجيه الاهتمام إلى الاستعداد لها.

3- زوال النظام الكوني: أخبر القرآن الكريم إن الكون كله بنظامه سيزول وينتهي، وسمى القرآن وقت بداية نهاية هذا النظام بالساعة، أي الزمن المحدد في علم الله لإنهاء نظامها، وأن نظام

الحياة الدنيا وما يحويه من سماء وأرض ونجوم وكواكب سيتبدل تبدلا كليا؛ قال تعالى: قال تعالى:﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:104].

الأمارات الصغرى والكبرى:

سمى القرآن الكريم أمارات الساعة بأشراط الساعة في قوله تعالى:﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد:18]؛ والمراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة.

ويطرح سؤال هنا عن الفائدة من دراسة علامات الساعة، وأن هذا نوع من الهروب من الواقع ومتطلباته، إلى بحوث في علم الغيب، والحقيقة أن دراسة ما أخبرت به النصوص عن علامات الساعة له أثار واسعة:

1- وقوع تلك الغيبيات على النحو الذي بينته النصوص يثبت الإيمان ويقويه.

2- ترسيخ الإيمان باليوم الآخر وحدوثه.

3- دلالة الوحي للمؤمنين على العلامات وما ينبغي أن يتصرفوه حيالها، كي يستعدوا لحدوثها والثبات على الإيمان في مفاتنها، وكيفية تطبيق الشريعة حال حدوث تغيرات مختلفة.

4- جاءت الشريعة ملبية لما فطر عليه الإنسان من التطلع لمعرفة ما سيحدث في المستقبل، وما يتعلق بمستقبل الإنسان ومصيره في الدنيا والآخرة.

الأمارات الصغرى:

هناك أمرات كثيرة صغرى في كتب الحديث نذكر بعضا منها لكثرتها ، ونقسمها بحسب الوقوع إلى علامات وقعت وانقضت، وعلامات وقعت وهي مستمرة، وعلامات لم تقع بعد:

علامات الساعة التي وقعت:

1- بعثة النبي ﷺ :

حيث أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله : «بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويشير بأصبعيه فيمدهما» رواه البخاري ومسلم.

2- انشقاق القمر:

اتفق العلماء على أن القمر قد انشق في عهد الرسولﷺ ، وأن انشقاقه إحدى المعجزات الباهرات، وقد صرح القرآن بهذا في قوله تعالى:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ - وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر : 1-2]

ومنها حديث عبد الله بن مسعود قال : " انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقين ، فقال رسول الله ﷺ : " اشهدوا ، اشهدوا " رواه مسلم.

3-نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصُرى (وهي مدينة حوران بالشام كما بينها النووي):

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " لا تقوم الساعة ، حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى " رواه البخاري.

وهذه الآية العظيمة وقعت على الصورة التي أخبر بها الرسول ﷺ، وقد كان خروجها في سنة (654) للهجرة النبوية .

وقد بينت نصوص كثيرة من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، بخروج نار عندهم، حتى كتب بعضهم على ضوئها الكتب، وذكر بعضهم أنهم كانوا في البيوت تلك الليالي، وكأن في دار كل واحد منا سراج ، ولم يكن لها حر ولفح على عظمها ، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل.

4- توقف الجزية والخراج:

حيث توقفت الجزية التي كان يدفعها أهل الذمة في الدولة الإسلامية، والخراج الذي يدفعه من يستغل الأراضي التي فتحت في الدولة الإسلامية.

العلامات التي وقعت وهي مستمرة أو وقعت ويمكن أن تتكرر:

1- خروج الدجالين وأدعياء النبوة:

فقد أخبر النبي أنه سيخرج في هذه الأمة دجالون يدعون النبوة، وأكد الحقيقة للأمة أنه لا نبي بعده، وأنه خاتم المرسلين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله» رواه البخاري.

وقد خرج في عصر الصحابة؛ مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح الكاهنة، وفي عصر التابعين؛ المختار الثقفي، ومنذ أكثر من قرن خرج الحسين بن علي ابن الميرزا عباس في إيران مدعيا النبوة ولقب ببهاء الله ومنه صدرت الحركة البهائية والأمر مستمر إلى اليوم.

2- كثرة الفتن والجهل والكبائر:

عن أنس رضي الله عنه، قال: لأحدثنكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقلّ الرجال، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» صحيح البخاري

عن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «من أشراط الساعة الفُحش، والتَّفَحُشُ، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، ائتمان الخائن» رواه البزار والطبراني وذكر في صحيح الجامع الصغير.

مع عبد الله، وأبي موسى، فقالا: قال النبي ﷺ: «إن بين يدي الساعة لأياما، ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج» والهرج: القتل.

3- ضياع الأمانة واختلال الموازين:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة» . قيل : يا رسول الله وما الرويبضة قال : «الرجل التافه ينطق في أمر العامة» رواه ابن ماجة، وذكر في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

4- ولادة الأمة ربتها وتطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان:

وذلك ما أشار إليه حديث جبريل المشهور: «...قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» رواه مسلم.

5- الخسف والقذف والمسخ:

وهو عقاب من الله لبعض من ارتكب الذنوب والمعاصي؛

قال رسول الله ﷺ:«سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ، إذا ظهرت المعازف والقينات، واستحلت الخمر» رواه الطبراني بإسناد صحيح.

6- شرطة آخر الزمَان الذين يجلدون الناس:

يكثر الظلم في آخر الزمان ، حتى إن الرجال الذين يوكل إليهم القيام على الأمن وردع الظالمين يفسدون ، فإذا بهم يتحولون إلى ظلمة يجلدون ظهور العباد بسياطهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر ، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه** " رواه أحمد والحاكم والطبراني بإسناد صحيح.

فقد روى أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسمنة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا " صحيح مسلم.

7- كثرة المال وعموم الخير وعودة الصحراء العربية إلى جنات وأنهار:

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا**» رواه مسلم.

العلامات التي لم تقع بعد:

وهي كثيرة نذكر منها:

1- قتال المسلمين اليهود:

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ ، قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود» رواه مسلم.

2- تكليم السّبَاع والجمَاد الإنسَ:

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ، قال : " عدا الذئب على شاة ، فأخذها ، فطلبه الراعي ، فانتزعها منه ، فأقعى على ذنبه ، قال : ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إليَّ ، فقال : يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ بيثرب ، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه ، حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول اللهﷺ فنودي بالصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للراعي : أخبرهم ، فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ: صدق ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما حدّث أهله بعده " (1) .

3- انحسَار الفرات عَن جَبل من ذهَب:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يوشك الفرات أن يَحْسِرَ عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً " ، وفي رواية " يَحْسِر عن جبل ذهب " . وفي رواية عند مسلم : " لا تقوم الساعة حتى يَحْسِر الفرات عن جبل من ذهب يَقْتُل الناس عليه، فَيُقْتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو ".

والسبب في نهي الرسول صلى الله عليه وسلم من حضره عن الأخذ منه لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والاقتتال وسفك الدماء .

4- إخراجُ الأرضِ كنوزَهَا المخبوءة:

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: " تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل ، فيقول: في هذا قَتَلْت ! ويجيء القاطع ، فيقول: في هذا

قَطَعْت رحمي، ويجيء السارق ، فيقول : في هذا قُطِعَت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً ". رواه مسلم.

ويزهد الناس فيها لكثرتها، وارتكابهم الكبائر للحصول عليها.

5- محاصَرة المسلمين إلى المدينَة:

من أشراط الساعة أن يهزم المسلمون ، وينحسر ظلهم ، ويحيط بهم أعداؤهم ويحاصرونهم في المدينة المنورة .

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: " يوشك المسلمون أن يُحَاصروا إلى المدينة ، حتى يكون أبعد مَسالحهم سَلاَحٌ "، والمسالح، جمع مَسْلَحة، وهي الثغر، والمراد أبعد مواضع المخافة من العدو. وسَلاَح ، موضع قريبٌ من خيبر.

6- انتفاخ الأهلة:

من الأدلة على اقتراب الساعة أن يرى الهلال عند بدو ظهوره كبيراً حتى يقال ساعة خروجه إنه لليلتين أو ثلاثة ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: " من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة " رواه الطبراني بإسناد صحيح.

7- خروج المهدي:

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله تبارك وتعالى يبعث في آخر الزمان خليفة يكون حكماً عدلاً، يلي أمر هذه الأمة من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم من سلالة فاطمة ، يوافق اسمه اسم الرسول ﷺ، واسم أبيه اسم أبي الرسول ﷺ، وقد وصفته الأحاديث بأنه أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض عدلاً، بعد أن ملئت جوراً وظلماً ، ومن الأحاديث التي وردت في هذا:

فعن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ: " لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي " رواه الترمذي وأبو داود ، وفي رواية لأبي داود: قال : " لو

لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم ، حتى يبعث الله فيه رجلاً مني – أو من أهل بيتي – يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً " .

ولم يحدد وقت دقيق لظهوره لكن يرجح البعض أنه يظهر قبل ظهور المسيح عليه السلام.

وقد اختلفت الفرق الإسلامية في من هو المهدي:

فذهب أهل السنة: إلى ما ذكرنا، قال ابن خلدون : " اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدي في صلاته ".

وقال الشيعة الإمامية: أنه أن المهدي هو آخر أئمتهم ، وهو الإمام الثاني عشر المدعو بمحمد بن الحسن العسكري وهو عندهم من ولد الحسين بن علي ، لا من ولد الحسن ، وهم يعتقدون أنه دخل سرداب سامراء منذ أكثر من ألف ومائة سنة وعمره خمس سنوات ، ويعتقدون أنه حاضر في الأمصار ، غائب عن الأبصار ، وهو المهدي الذي ينتظرون عودته .

وأنكره بعض أهل السنة في القديم والحديث وردوا الأحاديث الواردة فيه، وتسمى به بعض الحكام الصالحين والطالحين بغية نوال ذلك الشرف.

وتدعي الفرقة الكيسانية أن المهدي هو محمد ابن الحنفية وأنه حي مقيم بجبل رضوى ، وأنه بين أسدين يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، فزعموا أنه دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه ، ولم يوقف لهم على خبر ، قالوا : وهم أحياء يرزقون ، ويقولون : إنه يعود بعد الغيبة ، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، قالوا : وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان ، وقيل إلى يزيد بن معاوية.